فإما عدلت وإلا انفصلت[1] فدل ذلك على مكانتهم التامة عند ملوك بني رسول ولعل هدا التسامح معهم من قبل هؤلاء الملوك لم يكن بدافع ديني وانما كان لأسباب سياسية تقتضي ذلك حيث أن لهؤلاء الصوفية مكانة كبيرة في نفوس الناس فكان الميل اليهم ليس إلا تقربا للشعب وقد ترجموا ذلك في أكثر من مناسبة فهذا السلطان المظفر يسامح جماعة من الصوفية في الضرائب على أراضيهم[2] وقد رفض الصوفي أحمد بن موسى بن عجيل مسامحة المظفر لأرضه الا أن يكون هذا السماح عاما في سائر أفراد الشعب[3] ومع ذلك فقد كانت مكانة الصوفية عند ملوك بني رسول تزداد كل يوم حتى بلغ بهم الامر الى أن كل من احتمى بتربية الفقيه (ابن عجيل) لم يستطع السلطان أن يمسه بأذى واصبحت مدينة بيت الفقيه من الاماكن المقدسة التي لا يدخلها جند السلطان[4] .

ولم يؤثر هذا التكريم في مجاهرة الصوفية بالحق وربما قام أحدهم بالهجوم على أماكن الخمر وإراق الخمر دون أن يمسه أحد من العسكر[5] وكان الصوفية أقرب في ذلك الى رأي العامة فأحبهم الناس لذلك واعتبروا مزاراتهم من الاماكن الجليلة حتى ان الصوفي الكبير الشيخ طلحة الهتار اذا خرج من بيته لا يكاد يصل الى الجامع إلا بمشقة كبيرة لكثرة ازدحام الناس عليه[6] وربما نضايق بعض الصوفية من تلك الزيارات المتكررة فيحتال أحد أصحابه بحيلة طريفة يتخلص بها منهم[7] .

---

(١) أنظر كتابنا الصوفية والفقهاء في اليمن ص ٤٧ .
(٢) طبقات الخواص ص ٨ .
(٣) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٥٨ .
(٤) الصوفية والفقهاء ص ١٥٠ وطبقات الخواص ص ٦٢ .
(٥) طبقات الخواص ص ٧٣ .
(٦) المصدر السابق ص ٦٤ .
(٧) العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٢١ ، ويذكر في ذلك حكاية طريفه . يقول : ان الصوفي عبد الله بن أبي بكر الخطيب لما دخل عدن تسامع الناس به ، وكثر الزحام عليه حتى شغلوه عن عبادته فشكا الى بعض خواصه فقال له : اطلب منهم قرضا ففعل ذلك مع أول زائر انتشر هذا الخبر بين زواره وعرفوا أنهم متى وصلوا الى عنده سألهم كما سأل الاول فلم يأت أحد بعد ذلك الى النسخ .